

# الرفق في الهدى النبوي وأثره في تحقيق التنمية المستدامة

أ.د. عماد حمدي إبراهيم  
أستاذ الفقه وأصوله - جامعة الوصل - دبي



## ملخص

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد، فقد أصبحت التنمية المستدامة من أكثر الموضوعات والأهداف التي تشغل دول العالم والهيئات والمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني على اختلاف توجهاتها ومشاربها؛ غير أن هذا الاهتمام - وللأسف - قد بدأ متأخرًا جدًّا؛ فقد تم إلحاق أضرار لا تخطئ العين ملاحظتها في كل بقعة من بقاع الأرض بل وفي مختلف المجالات.. وشمل الضرر كل شيء من حولنا البيئة بمختلف مكوناتها بحار وصحاري وجبال ومناطق ساحلية حتى الهواء والسحاب وتعرضت الحيوانات لأضرار يصعب حصرها، أما الإنسان فذلك شأن آخر لقد أصاب الضرر بشكل لا يمكن استيعابه كل شيء في الإنسان: صحته وذلك شأن ظاهر وفوق ذلك وقبل ذلك وبعده أخلاقه ومبادئه وقيمه العليا التي تمثل المشترك الإنساني الحقيقي.

وإن المتأمل في نصوص ومبادئ الهدي النبوي، سيقف على مدى سعة وشمول تلك المبادئ وتنظيمها لعلاقة الفرد بخالقه من ناحية وبالمجتمع من ناحية أخرى، ولعل مبدأ الرفق يُعد واحدًا من أهم مظاهر الهدي النبوي الذي يمكن أن يلعب دورًا كبيرًا في خدمة قضايا التنمية المستدامة، والعناية بمجالاتها، وترشيد حركتها، ويُسهّم في ديمومتها ويضمن بقائها واستمراريتها، لاسيما مع وجود وانتشار الأضرار سالفه الذكر.

وتكمن إشكالية هذا البحث وتبرز أهم أهدافه في محاولة بيان حقيقة التنمية المستدامة، وما أهميتها وأبعادها، وحقيقة الرفق وأهميته، وأثره في تحقيق التنمية المستدامة، وصولاً إلى التعرف على كيفية توظيف الرفق وتفعيل دوره في خدمة التنمية المستدامة وترشيدها، وقد توسل الباحث في سبيل تحقيق ذلك عددًا من المناهج كالأستقراي والتحليلي، ولعل من أبرز ما خلص إليه البحث من نتائج أن الإنسان هو أساس التنمية المستدامة، وهو غايتها ومقصدها، وهو محورها الأول، والقائم بها، والمنوط به تحقيقها؛ ولذا فقد أعلنت السنة النبوية من قيمة الإنسان، واهتمت بالنفس البشرية وأكدت على ضرورة الرفق بها، إن معاملة العمال والأجراء والموظفين بالرفق واللين، وعدم تكليفهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به.. يدفعهم إلى القيام بأعمالهم بمودة وطيب خاطر، مما يزيد في ولائهم، وانتمائهم للمؤسسات التي يعملون فيها، ومن ثم يزيد حرصهم عليها، وصيانتهم لها، ورغبتهم في الحفاظ عليها، وعلى مقدراتها.

**الكلمات المفتاحية:** الرفق - الهدي النبوي - التنمية المستدامة - ترسيخ قيم

## Abstract

All praise is due to Allah, the Lord of the Worlds, and may peace and blessings be upon the one sent as a mercy to all creation.

Sustainable development has become one of the most pressing topics and objectives of global concern, occupying the attention of nations, organizations, and civil society institutions across various orientations and perspectives. However, regrettably, this concern has emerged quite late, after extensive and undeniable damage has already afflicted every aspect of the environment - seas, deserts, mountains, coastal regions, even the air and clouds. The harm has not only impacted animals in ways difficult to quantify but has also affected human beings in profound ways. The damage to human beings extends beyond their physical health to their morals, principles, and the higher values that constitute the true shared foundation of humanity.

A careful study of the texts and principles of Prophetic guidance reveals the comprehensive nature of these principles in regulating the relationship between the individual and their Creator on one hand and their society on the other. Among these principles, the principle of *rifq* (gentleness) stands out as one of the most significant aspects of the Prophetic Sunnah. It plays a crucial role in serving the objectives of sustainable development, supporting its fields, refining its course, contributing to its continuity, and ensuring its sustainability - particularly in the face of the widespread harms mentioned earlier.

This study seeks to address several key questions: What is the true nature of sustainable development? What are its significance and dimensions? What is *rifq*, and what is its importance? How does it contribute to achieving sustainable development? Ultimately, the study aims to explore how *rifq* can be effectively employed to support and refine sustainable development. To achieve this, the researcher adopts various methodologies, including inductive and analytical approaches.

Among the study's most notable findings is that human beings are the foundation, objective, and primary focus of sustainable development. They are responsible for its realization and continuity. Accordingly, the Prophetic Sunnah elevates the status of human beings, emphasizing the importance of caring for the human soul and the necessity of treating others with gentleness. When workers, laborers, and employees are treated with kindness and fairness and are not burdened with tasks beyond their capacity, they are more likely to perform their duties with goodwill and sincerity. This, in turn, fosters their loyalty to the institutions they serve, enhances their sense of belonging, and strengthens their commitment to preserving and safeguarding the resources and assets of these institutions.

**Keywords:** Gentleness - Prophetic Guidance - Sustainable Development - Strengthening Values.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد، فقد أصبحت التنمية المستدامة من أكثر الموضوعات والأهداف التي تشغل دول العالم والهيئات والمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني على اختلاف توجهاتها واختلاف مشاربها؛ لما لها من ضرورة حتمية في الحفاظ على حاضر ومستقبل البشرية.

غير أن هذا الاهتمام - وللأسف - قد بدأ متأخرًا جدًّا؛ فقد تم إلحاق أضرار لا تخطئ العين ملاحظتها في كل بقعة من بقاع الأرض بل وفي مختلف المجالات. فلم يسلم من هذا الضرر المفجع الذي صنعه الإنسان المتمدن الباحث عن الربح - بأي وسيلة كانت - شيء لم تسلم منه دولة ولا مجتمع وشمل الضرر كل شيء من حولنا البيئية بمكوناتها بحار وصحاري وجبال ومناطق ساحلية حتى الهواء والسحاب وتعرضت الحيوانات لأضرار يصعب حصرها، وقد أخبر الحق سبحانه وتعالى عن ذلك في وقت مبكرٍ جدًّا فقال سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (1).

أما الإنسان فذلك شأن آخر لقد أصاب الضرر بشكل لا يمكن استيعابه كل شيء في الإنسان: صحته وذلك شأن ظاهر وفوق ذلك وقبل ذلك وبعده أخلاقه ومبادئه وقيمه العليا التي تمثل المشترك الإنساني الحقيقي.

ومن ناحية أخرى ورغم حداثة مصطلح التنمية المستدامة والذي ظهر في الأدبيات الاقتصادية المعاصرة خلال القرن العشرين إلا أن أي باحثٍ جادٍ متعمقٍ في السنة النبوية المشرفة يجد أن مفهوم الاستدامة متأصل في قواعدها وتطبيقاتها منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان.

بل إن المتأمل في نصوص ومبادئ الهدي النبوي، سيقف على مدى سعة وشمول تلك المبادئ وتنظيمها لعلاقة الفرد بخالقه من ناحية وعلاقته بالمجتمع الإنساني بأسره من ناحية أخرى، ولا غرو فقد اشتملت تلك النصوص على الكثير من النظم والنظريات والقواعد والضوابط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية مما لا نجد في أي اجتهاد تشريعي آخر.

1- سورة: الروم، آية [41].

ولعل مبدأ الرفق (بمفهومه العام والشامل) يعد واحداً من أهم مظاهر الهدى النبوي الذي يمكن أن يلعب دوراً كبيراً في خدمة قضايا التنمية المستدامة، والعناية بمجالاتها، وترشيد حركتها، وتحقيق أهدافها، ويُسهم في ديمومتها ويضمن بقائها واستمراريتها. ففي الصحيح أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»<sup>(1)</sup>. وقال أيضاً: «مَنْ يُحْزِمِ الرَّفْقَ، يُحْزِمِ الْخَيْرَ»<sup>(2)</sup>.

والرفق المقصود هنا: هو الرفق بمفهومه العام والشامل، رفق الإنسان في علاقته بنفسه، ورفقه في علاقته بخالقه ورفقه في علاقته بأخيه الإنسان، ورفقه في علاقته بالبيئة المحيطة به من نباتات وحيوانات وصحاري وجبال ومناطق ساحلية حتى الهواء والسحاب.. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الموسوم بـ (مبدأ الرفق في الهدى النبوي وأثره في تحقيق التنمية المستدامة).

### إشكالية البحث:

تكمن إشكالية هذا البحث في محاولة الإجابة على عدد من التساؤلات على النحو الآتي:

- ما حقيقة التنمية المستدامة، وما أهميتها وأبعادها؟
- ما حقيقة الرفق، وما أهميته، وأثره في تحقيق التنمية المستدامة؟
- كيف يمكن توظيف الرفق وتفعيل دوره في خدمة عمليات التنمية المستدامة، وتحقيق أهدافها؟

### أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف لعل من أهمها:

- بيان حقيقة التنمية المستدامة، وأهميتها وأبعادها.
- بيان حقيقة الرفق، وأهميته، وأثره في تحقيق التنمية المستدامة.

1- أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق / محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ، 1955م، كتاب: الفضائل، باب: فضل الرفق (4/2003) حديث رقم (2593).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: فضل الرفق (4/2003) حديث رقم (2592).

- بيان يمكن توظيف الرفق وتفعيل دوره في خدمة عمليات التنمية المستدامة، وتحقيق أهدافها.

### منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع استخدام المنهج الاستقرائي وذلك من خلال جمع الأحاديث النبوية التي تناولت مبدأ الرفق، ثم المنهج التحليلي لتحليل تلك النصوص وبيان كيف يُمكن أن تُسهم في خدمة قضايا التنمية، وتحقيق أهدافها، وتُساعد على ديمومتها وتضمن بقاءها استمراريتها.

### الدراسات السابقة والإضافة المعرفية:

رغم أهمية موضوع التنمية المستدامة بوصفه عملية عمرانية يتفاعل فيها الإنسان مع المكان، من أجل تحقيق مصالح الموجودات الأرضية، وضبط ميزان تعاشها الآمن حاضرًا ومستقبلًا، إلا أن الدراسات الشرعية التي تناولت مجال التنمية المستدامة قليلة نسبيًا، ولعل من أهم الدراسات التي تناولت موضوع التنمية المستدامة من الناحية الشرعية:

1. التنمية المستدامة وعلاقتها بفقه المصالح، د. محمد صلاح حلمي سعد، بحث منشور ضمن أعداد حولية كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان، عدد (2) (ربيع أول 1441هـ 2019م).
2. التنمية المستدامة في القرآن الكريم ودورها في البناء الإنساني، د. قتيبة فوزي جسام الراوي، بحث منشور ضمن أعداد مجلة (KnE social sciences) (volume2023).
3. التنمية المستدامة وأثرها في حفظ مقاصد الشريعة، د. منال بنت طارق القصبي، بحث منشور ضمن أعداد مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالإسكندرية، المجلد (2) عدد(37).
4. التنمية المستدامة من منظور إسلامي وتطبيقاتها التربوية (مادة التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية أ نموذجًا) د. عبد الغني على المقبل، بحث منشور ضمن مجلة الجامعة الوطنية، عدد (16) فبراير (2021م).
5. ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، د. محمد عبد القادر

الفقي، بحث منشور بكتاب الندوة الدولية الثالثة للحديث الشريف، حول (القيم الحضارية في السنة النبوية) والتي عُقدت في رحاب جامعة الوصل، دبي، في الفترة (22-25/4/2007م).

ولا شك أن هذه الدراسات لها أهمية كبيرة في التعريف بقضية التنمية المستدامة، وعلاقتها ببعض العلوم الشرعية وتسليط الضوء عليها، بيد أنه لا توجد دراسة علمية - في حدود علم الباحث - تناولت مبدأ الرفق في الهدى النبوي، وأثره في خدمة عمليات التنمية المستدامة، فجاءت هذه الدراسة بُغية تسليط الضوء على حقيقة الرفق، وأهميته، ومجالاته ومستوياته، وكيفية تفعيل دوره في تحقيق عمليات التنمية المستدامة، وبهذا تبرز أهمية هذه البحث الموسوم بـ (الرفق في الهدى النبوي وأثره في تحقيق التنمية المستدامة).

### محتوى البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

- المقدمة:
- تمهيد: مفهوم الرفق وأهميته.
- المبحث الأول: التنمية المستدامة، حقيقتها وأهدافها وأبعادها.
- المبحث الثاني: تفعيل مبدأ الرفق وأثره في تحقيق التنمية المستدامة.
- الخاتمة.

## تمهيد: مفهوم الرفق وأهميته

### الفرع الأول: مفهوم الرفق وحقيقته

#### الرَّفْق لغة:

الرَّفْق - بكسر الراء، وسكون الفاء، بعدها قاف: اللُّطْف، وضدُّه: العنْف، وهو فعل لازم يتعدى بحرف الجر، تقول: رَفَّقَ بالرجل، ورَفَّقَ له، ورَفَّقَ عليه، أي: تَلَطَّفَ معه، ولان له جانبُه، والرَّفِيقُ أيضًا: ضِدُّ الأخرق<sup>(1)</sup>.

ومنه الرفقة: «يقال للقوم ما داموا منضمين في مجلسٍ واحد ومسيرٍ واحد، وإذا تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة، ولم يذهب عنهم اسم الرفيق..»<sup>(2)</sup>.

#### الرَّفْق اصطلاحًا:

لا يخرج معنى الرَّفْق في الاصطلاح عن معناه اللغوي، فقد عرّفه الحافظ ابن حجر بقوله: «لين الجانب بالقول والفعل، والأخذُ بالأسهل، وهو ضدُّ العنْف»<sup>(3)</sup>.

وقال العظيم آبادي هو: «المداراة مع الرِّفقاء، ولينُ الجانب، واللُّطْفُ في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها..»<sup>(4)</sup>. وقال أبو البقاء الكفوي: «التَّوَسُّطُ واللِّطَافَةُ في الأمر..»<sup>(5)</sup>.

وهذه التعريفات وإن كانت متفاوتة في العبارة، إلا أنها متقاربة في الدلالة، ولعل أشملها تعريف ابن حجر، ويمكننا أن نستنتج منها جملة أمور، من أبرزها: «أن الرَّفْقَ سلوك كريم، وأنه يكون في القول والعمل، كما أن الرَّفْقَ تَوَسُّطٌ واعتدال، وفي الرَّفْقِ معنى المسايرة والتوافق، كما أن الرَّفْقَ اختيار الأفضل والأسهل..»<sup>(6)</sup>.

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.د.ت. (10/118).

2- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات، المحقق / عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت (ص482).

3- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، اعتني به: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1380، 1390هـ، (10/449).

4- العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ، (13/112).

5- الكفوي، الكليات (ص482).

6- حسن محمد عبه جي، الرفق في السنة النبوية، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (ص10).

## والرفق المحمود:

والمحبوب لله تعالى هو الذي لا يفضي إلى إهمال حق من حقوق الله تعالى، فإذا أفضي إلى ذلك لم يجز ولم يكن محبوبًا، بل يكون مبعوضًا ومسخوطةً عليه من قبل الحق سبحانه وتعالى، قال تعالى مخاطبًا المؤمنين عند إقامة حد الزنا قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُمَا طَافِقَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (1).

### الفرع الثاني: أهميته الرفق والحاجة إليه

لا شك أن للرفق أهمية كبيرة، وأن الحاجة ماسة بل وملحة إلى التعامل بين الناس بالرفق في شتى مجالات الحياة، لا سيما في الوقت الراهن، ذلك الوقت الذي غلب على كثير من المسلمين فيه سرعة الغضب والانفعال، حتى صاروا يعرفون بالغلظة والفظاظة، وأهملوا الرفق واللين في حياتهم إما تهاونًا أو جهلاً، وتبرز أهمية الرفق في كونه يحقق عددًا من المنافع والمصالح، من ذلك أن:

### الرفق سبب في حصول محبة الله للعبد:

فقد روى البخاري في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» (2). وما دام الرفق محبوبًا لله تعالى فينبغي للمسلم أن يحرص عليه، ويأخذ به، ويتخلق به، ويجعله صفة من صفاته، وسجية من سجايه، لأن كل ما يحبه الله يبغي على المسلم أن يحبه ويعمل به.

### الرفق من أهم أسباب الرزق والخير:

سنة الله في الرفق وأهله أن يعطيهم ما لا يعطي على العنف وأهله فمن يرزق الرفق يرزق أسباب الخير، ومن يحرمه يحرم أسباب الخير، وفي الحديث: «مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ» (3). فالرفق سبب كل خير، وفي حديث آخر قال ﷺ يا عائشة: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» (4). قال ابن

1- سورة: النور، آية [2].

2- أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق / د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط5، 1414هـ، 1993م، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء على المشركين (8/84) حديث رقم (6395).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: فضل الرفق (4/2003) حديث رقم (2592).

4- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والآداب والصلة، باب: فضل الرفق (4/3) حديث رقم (2004).

حجر أي: «يتأتى به من الأغراض ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره»<sup>(1)</sup>.

### يساعد على تحقيق الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ:

فحينما يتحلّى المسلم بالرفق باستجابة لأمر الله تعالى، وتأسّيًا بحال رسول الله ﷺ وقاله، يكون قد بلغ الغاية، وحقق أعظم هدف يتنافس فيه المتنافسون، ويتسابق إليه المؤمنون، ألا وهو تحقيق الطاعة لله ولرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(2)</sup>.

### الرفق يعين على قبول التكاليف الشرعية والاستجابة لها:

يقول الطاهر بن عاشور في معرض حديثه عن مقصد السماحة، وأنها أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها إن حكمة السماحة في الشريعة أن الله جعل هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة راجعة إلى الجبلة، فهي كائنة في النفوس سهل عليها قبولها، ومن الفطرة النفور من الشدة والإعنات قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾<sup>(3)</sup>.

وقد أراد الله تعالى أن تكون شريعة الإسلام شريعة عامة ودائمة، مستمرة ومستدامة؛ فاقترض ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلاً، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها المشقة والإعنات. فكانت برفقها وسماحتها أشد ملاءمة للنفوس، لأن فيها إراحة النفوس في حالي خويبتها ومجتمعها، وقد ظهر للسماحة والرفق أثر عظيم في انتشار الشريعة وطول دوامها. فعلم أن اليسر من الفطرة، لأن في فطرة الناس حب الرفق<sup>(4)</sup>.

### تقديم الإسلام في صورته الصحيحة:

ذلك أن وفرة النصوص التي تحثُّ على الرفق وتُرغَّب فيه تُعطي انطباعاً عاماً عن الإسلام بأنه دين الرفق واللين، اللُّطف والسماحة، وتجعل من تلك الأخلاق الكريمة سمّة بارزة لهذا الدين، وصفةً مميّزة لاتباعه، وحينما يلتزم المسلم بتلك الأخلاق: الرفق واللين

1- ابن حجر، فتح الباري (10/449).

2- سورة: الأحزاب، آية [71].

3- سورة: النساء، آية [28].

4- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، المحقق/ محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (3/193).

واللُّطْف والأناة من خلال سلوكه وممارساته ومعاملته مع الآخرين، تظهر من خلاله هذه السِّمة، فيكون المرأة الصادقة التي تعكس الإسلام الحقيقي.

يقول ابن بطال: «والمداواة والرفق من أخلاق المؤمنين وهي: خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة وسَلِّ السَّخِيمَةَ»<sup>(1)</sup>. ولا شك أن تفعيل هذا الخلق العظيم في حياة الأمة، وتجسيده واقعًا ملموسًا، وسلوكًا متبَعًا في كل المجالات؛ سيكون له أثر مهم في تقديم الإسلام بصورته الحقيقية والواقعية، تلك الصورة التي تم يغييها عمدًا أو جهلاً، وتم استبدالها بصورة نمطية أخرى، وهي أن الإسلام انتشر بالسيف، وأنه دين العنف والغلظة والضدة والفظاظة، وأنه دين الغلو والتطرف والإرهاب!

### فيه ترغيب الناس في الإسلام وتكاليفه:

فلم يرسل النبي ﷺ رسولاً ولا معلِّمًا إلا أوصاه بأن يترقَّق ولا يتشدَّد، وأن يبسِّر ولا يعسِّر، وأن يبشِّر ولا ينفر، وبهذا انشِرت القلوب، وأحبَّ الناس الإسلام، ودخلوا فيه أفواجًا، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكَّنُوا وَلَا تُتَفَّرُوا»<sup>(2)</sup>.

قال ابن حجر: «في الحديث: الأمر بالتيسير في الأمور، والرِّفْقُ بِالرَّعِيَّةِ، وتحبيبُ الإيمان إليهم، وتركُ الشَّدَّةِ؛ لئلا تُتَفَرَّ قلوبهم، ولا سيما فيمن كان قريبَ العهد بالإسلام، أو قاربَ حدِّ التكليفِ من الأطفال؛ ليتمكَّنَ الإيمانُ من قلبه، ويتمرَّنَ عليه، وكذلك الإنسان في تدريب نفسه على العمل إذا صدقت إرادته لا يُشدِّدُ عليها، بل يأخذها بالتدرُّج والتهيؤ، حتى إذا أنست بحالة داومت عليها نقلها لحالٍ آخر، وزاد عليها أكثر من الأولى حتى يصل إلى قدر احتمالها، ولا يكلفها بما لعلها تَعَجُّزُ عنه»<sup>(3)</sup>.

1- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المحقق / أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1423هـ، 2003م، (9/305).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا (8/30) حديث رقم (6125).

3- ابن حجر، فتح الباري (13/174).

## يساعد الرفق على بلوغ الغايات وتحقيق الأهداف بأيسر السبل وأقرب الطرق.

فمن المعلوم أن تقديم أيِّ فكرة، أو عرض أيِّ مسألة، أو سؤال أيِّ حاجة، إذا ما تمَّ بأسلوب رقيق لطيف، حقق قبولاً ونجاحاً، وما ذلك إلا لأن الرفق مفتاح القلوب، فالتعامل بالرفق هو الاختيار الأمثل لتحقيق الغايات، والوصول إلى النتائج المرجوة من النجاح وتحقيق الأهداف، بأيسر السُّبُل، ودون مشقَّة وعناء.

## يساعد الرفق توطيد العلاقات الإنسانية ودوامها واستمرارها:

فقد تطرأ في حياة الإنسان بعض الأمور التي ليست بحسابانه، فإذا ما استخدم لها الحكمة، وعالجها برفق، اجتازها بنجاح وتفوق، وذلك لما في الرفق من أسرار وخصائص عظيمة، فبسببه تهوي الحواجز، وتختصر المسافات، وتقوى الصّلات، وتزول الضغائن والأحقاد من القلوب، ويحصل المطلوب، أما العُنف والشدَّة والغلظة فلا تحقِّق إلا التُّفرة، والبُغْض، والقطيعة، قال الله تعالى لنبيِّه (صلى الله عليه وسلم) ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَقَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(1)</sup>. وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في معالجة المواقف الطارئة بالرفق واللين حينما قام أعرابيٌّ جافٍ أو حديثٌ عهدٌ بالإسلام فبال في مسجده! فتناوله النَّاسُ، بالزجر والتوبيخ والتعنيف، فقال لهم النبيُّ ﷺ: «دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بُولِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ دَنُوبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ»<sup>(2)</sup>. والتفت ﷺ للأعرابي قائلًا: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَدْرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ل، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»<sup>(3)</sup>.

1- سورة: آل عمران، آية [159].

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صبِّ الماء على البول في المسجد (1/54) حديث رقم (220).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد (1/237) حديث رقم (285).

## المبحث الأول: التنمية المستدامة، حقيقتها وأهدافها وأبعادها.

### المطلب الأول: حقيقة التنمية المستدامة

#### التنمية لغة:

مصدر من الفعل (نَمَى) يقال أنميت الشيء ونميته جعلته ناميًا أما كلمة المستدامة فمأخوذة من استدامة الشيء أي طلب دوامه<sup>(1)</sup>.

#### التنمية اصطلاحًا:

ومن الناحية الاصطلاحية يُراد بالتنمية زيادة الموارد والقدرات والإنتاجية، وهذا المصطلح رغم حداثة، يستعمل للدلالة على أنماط مختلفة من الأنشطة البشرية، مثل التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية والتنمية البشرية إلخ، والمراد بالتنمية الاقتصادية: هو الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية والبشرية لغرض تحقيق زيادات مستمرة في الدخل تفوق معدلات النمو السكاني.

أما التنمية الاجتماعية: فالمراد منها هو إصلاح الأحوال الاجتماعية للسكان عن طريق زيادة قدرة الأفراد على استغلال الطاقة المتاحة إلى أقصى حد ممكن وبتحصيل أكبر قدر من الحرية والرفاهية.

كما يُقصد بالتنمية البشرية: تخويل البشر سلطة انتقاء خياراتهم بأنفسهم سواء فيما يتصل بموارد الكسب أو بالأمن الشخصي أو الوضع السياسي<sup>(2)</sup>.

ويلاحظ أن ثمة تداخلًا بين كل هذه الأنماط التنموية إذ يرتبط كل نمط منها مع سائر الأنماط الأخرى ارتباطًا وثيقًا من حيث التأثير المتبادل بينهما، ولذلك وجدنا من يدمج كل هذه الأنماط المختلفة من التنمية تحت مسمى واحد هو (التنمية المتكاملة)<sup>(3)</sup>.

1- ابن منظور، لسان العرب (15/341).

2- محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، بحث منشور بكتاب الندوة الدولية الثالثة للحديث رقم الشريف، حول (القيم الحضارية في السنة النبوية) والتي عُقدت في رحاب جامعة الوصل، دبي، في الفترة 22، 25/4/2007م، (3/10).

3- المصدر السابق، نفسه.

## التنمية المستدامة:

لما كانت التنمية المتكاملة تختصر دلالاتها الاصطلاحية على العمليات التي تجري في الوقت الحاضر فقط لتلبية احتياجات الأفراد الموجودين حاليًا دون مراعاة احتياجات الأجيال القادمة فقد قام كاتبوا تقرير لجنة (برونتلاند) المعنون بـ (مستقبلنا المشترك) في سنة (1987م) بوضع مصطلح (التنمية المستدامة) للدلالة على: «التنمية التي تُلبي احتياجات الحاضر دون أن تؤثر في قدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها..»<sup>(1)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن مصطلح (التنمية المستدامة) له تعريفات كثيرة جدًا، ولعل أجمع هذه التعريفات وأمنعها وأقربها إلى المرجعية الإسلامية، ما ذهب إليه الأستاذ أحمد صالح على بأفضل، حيث عرفها بأنها: «إيصال الجيل الحاضر لأقصى إمكانات الصلاح والنفع الدنيوي والأخروي، بما لا يؤثر سلبيًا على متطلبات الأجيال القادمة»<sup>(2)</sup>.

فهي تنمية تُراعي حق الأجيال القادمة في الثروات الطبيعية للمجال الحيوي لكوكب الأرض، كما أنها تضع الاحتياجات الأساسية للإنسان في المقام الأول فأولوياتها هي تلبية احتياجات المرء من الغذاء والسكن والملبس وحق العمل والتعليم والحصول على الخدمات الصحية وكل ما يتصل بتحسين نوعية حياته المادية والاجتماعية وهي تنميه تشتت ألا نأخذ من الأرض أكثر مما نعطي..»<sup>(3)</sup>. أي أنها تتطلب تضامنًا بين الجيل الحالي والجيل المستقبلي وتضمن حقوق الأجيال المقبلة في الموارد البيئية وتتمثل أهداف التنمية المستدامة في تحسين ظروف المعيشة لجميع سكان العالم وتوفير أسباب الرفاهية والصحة والاستقرار لكل فرد.

### المطلب الثاني: أهداف التنمية المستدامة، وأبعادها

تلقت شعوب العالم المتقدمة والمتخلفة مصطلح (التنمية المستدامة) منذ اللحظة الأولى لظهوره؛ تلقت الغريق أيدي منقذيه، فالمتقدمة ترجو منه إنقاذًا من فشل

1- تقرير اللجنة التي أنشأتها الأمم المتحدة في أواسط الثمانينات من القرن العشرين، والذي عرف بتقرير (برونتلاند) ينظر: التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، عبد الله جمعان الغامدي (ص 187).

2- أحمد صالح على بأفضل، الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1، 2014م، (ص 41).

3- سعاد عبد الله العوضي، البيئة والتنمية المستدامة، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت (ص 7).

أنظمة حياتها من توفير سعادة الإنسان، وحماية بيئته حاضراً ومستقبلاً وأما المتخلفة فقد رأت فيه بارقة أمل في ظلام دامسٍ عليها تنير لها طريق تنمية المكان التي أضلتها وفشلت في الوصول إليها..»<sup>(1)</sup>. وحتى تظهر أهمية التنمية المستدامة بوضوح، كان لابد من التعرف على أهداف تلك التنمية، تلك الأهداف التي وضعتها الأمم المتحدة والتي تعرف أيضاً باسم (الأجندة العالمية 2030م).

### أهداف التنمية المستدامة:

وهذه الأهداف هي عبارة عن سبعة عشر هدفاً على النحو الآتي: القضاء على الفقر، والقضاء التام على الجوع، والصحة الجيدة والرفاه، والتعليم الجيد، والمساواة بين الجنسين، والمياه النظيفة والنظافة الصحية، وطاقات نظيفة وبأسعار معقولة، والعمل اللائق ونمو الاقتصاد، والصناعة والابتكار والهياكل الأساسية، والحد من أوجه عدم المساواة، ومدن ومجتمعات محلية مستدامة، والاستهلاك والإنتاج المسؤولين، والعمل المناخي، والحياة تحت الماء، والحياة في البر، والسلام والعدل والمؤسسات القوية، وعقد الشراكات لتحقيق الأهداف<sup>(2)</sup>.

وهي في حقيقتها عبارة عن: رؤية ودعوة عالمية للعمل من أجل القضاء على الفقر وحماية كوكب الأرض وضمان تمتع جميع الشعوب بالسلام والازدهار بحلول عام (2030م) ولعل ما يميز هذه الاتفاقية عن غيرها، أنه لم يسبق أن وافقت جميع الدول الأعضاء بمنظمة الأمم المتحدة والبالغ عددهم 193 دولة - بالإضافة إلى مئات الآلاف من الجهات أصحاب العلاقة - على رؤية بعيدة المدى لمستقبلنا الجماعي. وأتت هذه الأهداف السبعة عشر كالأهداف المستقبلية التالية التي يطمح العالم لتحقيقها بعد الأهداف الإنمائية للألفية (2000 - 2015)، كما تشمل أربعة مواضيع رئيسية وهي المواضيع البيئية، والاجتماعية، والاقتصادية والشراكات وهذه الأهداف تشمل 169 غاية و231 مؤشراً، كما أن أهداف التنمية المستدامة هي أهداف مترابطة وغالبا النجاح في تحقيق هدف بعينه في معالجة موضوع محدد يؤدي إلى تحقيق الأهداف أخرى، وتتقضي أهداف التنمية المستدامة التعاون والعمل مع جميع الشركاء وبشكل عملي حتى تتمكن من اتخاذ

1- عبد الله جمعان الغامدي، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة، مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، مجلد 32، عدد 1، 1430هـ، 2009م، (ص189).

2- المصدر السابق، نفسه.

الخيارات الصحيحة لتحسين الحياة بطريقة مستدامة للأجيال القادمة.

وهي توفر مبادئ وغايات واضحة لجميع البلدان لتعتمدها وفقا لأولوياتها وخطتها الوطنية مع تسليط الضوء على التحديات البيئية التي يواجهها العالم بأسره، كما تمثل أهداف التنمية المستدامة خارطة طريق شاملة. وهي تعالج الأسباب الجذرية للفقر وتوحد الشعوب لإحداث تغيير إيجابي للعالم أجمع. كما أن مما يميز أهداف التنمية المستدامة عن غيرها من الأهداف أنها تركز على شمولية الجميع، حيث لا يمكن لدولة أن تعمل لوحدها لتحقيق النمو الاجتماعي والاقتصادي داخل حدودها فقط، بل يجب على الدول أن تتكاتف وتتعاون لضمان تحقيق الأهداف والاستدامة للعالم أجمع..»<sup>(1)</sup>.

### أبعاد التنمية المستدامة:

إن الناظر والمتأمل لتداول للجهات الرسمية وغير الرسمية لمصطلح التنمية المستدامة يجد أن معظم المداولات تدور حول ثلاثة عناصر سماها تقرير مؤتمر قمة جوهانس بيرج: «أركان التنمية المستدامة المترابطة والمتداخلة وهي التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية وحماية البيئة على الصعيد المحلي والوطني والإقليمي والعالمي..»<sup>(2)</sup>.

ويمكننا بحسب المرجعية الإسلامية أن نضيف أبعادًا وأركانًا جديدة لموضوع التنمية المستدامة، ذلك أن النظرة الإسلامية لعملية التنمية تتسم بالشمول على النحو الآتي:

- أولًا: البعد المرجعي: فمنهج الله الخالق ومخرجات عقول البشر وتجاربه المنضبطة بمسالك الشريعة، هو المرجعية الأساسية لتحقيق التنمية المنشودة.
- ثانيًا: البعد المجالي: دنيوية وأخروية فالدنيوية: تشمل كافة عمليات التنمية في كل مجالات الحياة ونشاطاتها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية، والأخروية: تشمل كل أعمال الإنسان النافعة ونقصد هنا أننا نحتاج عند تخطيطنا ووضعنا لخطط وبرامج التنمية ألا نغفل حاجة الإنسان إلى أعمال قد يتمحض ويخلص فيها النفع الأخروي مع ملاحظة أن متطلبات الآخرة تعود بالنفع الدنيوي أيضا ومنها ما هو ضروري لإقامة التنمية الدنيوية كالصلاة حيث تمد القائم على

-1 الموقع الرسمي للمركز الاتحادي للتنافسية والإحصاء التابع لوزارة شؤون مجلس الوزراء، بدولة الإمارات العربية المتحدة، <https://fcsc.gov.ae>

-2 الوثيقة متاحة بموقع الخط الأخضر <http://www.greenline.com>

العمليات التنموية بالطاقة والحيوية وتكسبه قدرة على تجنب المثبطات، ومنها الفحشاء والمنكر، وقد أثبت العلم والواقع الأثر الفعال لمثل هذه الأعمال فتنقى بها الأذهان وترفع بها الطاقات حتى أننا نرى اليابانيين يبدؤون أول أعمالهم بما يمدهم بزاد روحي.

- ثالثًا البعد الزمني: والمراد أن التنمية المنشودة لا تقتصر على الحاضر فقط، وإنما تشمل الحاضر مع عدم إغفال حق الأجيال القادمة.
- رابعًا: البعد التطبيقي: ويقصد به فعل كل إمكانات الإنسان، وبل كل الطاقات والجهود في حدود الزمان والمكان والحالة.
- خامسًا البعد المكاني: ويشمل كل أرجاء المعمورة فلا تحده تضاريس الطبيعة ولا يمنع توسعه حدود دوله إسلامية أو غير إسلامية.
- سادسًا البعد التكميلي: والمراد أن التنمية المنشودة ليست مسؤولية فئة دون أخرى بل هي مسؤولية كل الأفراد حكما ومحكومين..<sup>(1)</sup>.

### **المبحث الثاني: تفعيل مبدأ الرفق وأثره في تحقيق التنمية المستدامة.**

لا شك أن للرفق منافع كثيرة، وبه تتحقق العديد من المصالح التي يمكن أن تسهم في تحقيق العديد من أهداف وغايات التنمية المستدامة، وتدفع عجلتها إلى الإمام، وذلك من خلال تفعيل مبدأ الرفق، والتحلي على كافة الأبعاد والمستويات، بداية من الرفق في علاقة الإنسان بنفسه، مرورًا بالرفق على مستوى علاقة الإنسان بأهله وأسرته وغيره من أفراد المجتمع، وصولًا إلى الرفق على مستوى علاقته بالبيئة المحيطة والكون من حوله.

#### **المطلب الأول:**

#### **تفعيل مبدأ الرفق في علاقة الإنسان بنفسه**

لما كان الإنسان هو أساس برامج التنمية المستدامة، وهو غايتها، والقائم بها، والمنوط به تحقيقها، فقد أعلنت السنة النبوية قيمة الإنسان، واهتمت بالإنفس البشرية وأكدت على ضرورة الرفق بها، وصيانتها والحفاظ عليها؛ ذلك أن الإنسان هو أهم عناصر الكون، بل إن هذا الكون قد خلق لأجله، وكل ما فيه مسخر لخدمته، وهو خليفة الله في الأرض دون سائر

1- أحمد صالح على با فضل، الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة (ص43).

ولا شك في أن الرفق بالنفس، وعدم تكليفها ما لا تُطيق مما يشق عليها من الأعمال عون لها على المواصلة والاستدامة والاستمرار في إنجاز الطاعات والأعمال النافعة، والمتأمل في السنة النبوية المطهرة يجد العديد من مظاهر وصور الرفق بالنفس، والرحمة بها، وعدم تكليفها من الأعمال فوق ما يفوق طاقتها من الأعمال حتى في العبادة التي المقصد الأول من خلق الإنسان ووجوده في الكون ومن ذلك:

### النهي عن إرهاق البدن ولو بالعبادة:

ومن مظاهر الرفق بالنفس في السنة النبوية تحريم إرهاق البدن بالعمل وطول السهر والجوع، حتى وإن كان ذلك عبادةً الله تعالى فقد أنكر النبي ﷺ على رهطٍ من أصحابه أراد أحدهم أن يقوم الليل ولا ينام، والثاني أن يصوم الدهر ولا يفطر، والثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج ففي الصحيح من حديث أنس ﷺ قال: «يَقُولُ: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى يُبُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟! قَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْفُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(2).

ولا شك أن هذا الرفق يُفضي إلى المداومة والاستمرار، ويُنجنب النفس الإحساس بالفتور، ويقبها من الشعور بالسامة والملل.. الذي يُفضي في نهاية الأمر إلى التوقف والانقطاع بشكل تام.

كما أنه ﷺ أنكر على عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو ﷺ وغيرهما الغلو في التعبد المذكراً بحق أبدانهم وأسرههم ومجتمعهم عليهم فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: «دخل علي رسول الله ﷺ فقال: أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ، فَمَنْ وَنَمَ، وَصُمَّ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في الراحة) وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في النوم) وَإِنَّ لِرُؤُوكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في الإكرام والمشاركة) وَإِنَّ لِرُؤُوجِكَ

1- محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية (3/24).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح (7/2) حديث رقم (5063).

عَلَيْكَ حَقًّا (أَي فِي الإِمْتَاعِ وَالْمُوَاسَاةِ)»<sup>(1)</sup>.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ (أَي يَمْشِي بَيْنَهُمَا مَعْتَمِدًا عَلَيْهَا) قَالَ: «مَا بَالُ هَذَا؟»، قَالُوا: نَذَرْنَا أَنْ يَمْشِيَ (أَي إِلَى الْحَجِّ) قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَن تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَيِّبٌ» وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ<sup>(2)</sup>.

ولم يصح للنبي صلى الله عليه وسلم حديث في فضل الجوع مجردًا إلا ما كان من جوع الصيام بل ثبت عنه الاستعاذة بالله منه قال صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ يُنَسِّسُ الصَّحِيجُ»<sup>(3)</sup>.

### تشجيع الرخص والتخفيفات:

ومن مظاهر عناية السنة النبوية بحق الجسم، ورعايته، والحفاظ عليه والرفق به ما شرعته من رخص عند أداء الفرائض، إذا كان العمل بالعزائم شاقًا يؤدي الجسم، كأن يسبب له مرضًا أو يزيد في مرضٍ قائم، أو يؤخر الشفاء منه، أو يؤدي إلى مشقة زائدة.

فهناك يدع الوضوء إلى التيمم، والصلاة قائمًا إلى الصلاة قاعدًا أو مضطجعًا، وله الفطر في رمضان للسفر أو للمرض، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَنْكَارِهِ أُخْرِجَ﴾<sup>(4)</sup>.

ورخص السفر والمرض معروفة إلى غير ذلك من أنواع التخفيف إلى بدل أو إلى غير بدل، حتى أصبح مقرراً عند عامة المسلمين: أن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»<sup>(5)</sup>.

وأحياناً يصبح العمل بالرخصة واجبًا، كما إذا كان المرض شديدًا أو السفر مجهدًا والجسم ضعيفًا لشيخوخة أو نحو ذلك، فعلى مثل هذا يحرم الصوم؛ لما فيه من مشقة بالغة كالذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم في السفر يظلل عليه رفاقؤه، ويرشون عليه الماء من فرط ما

- 1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: حق الضيف (8/31) حديث رقم (6134).
- 2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: من نذر المشي إلى الكعبة (3/19) حديث رقم (1865).
- 3- أخرجه أبو داود، في سننه، المحقق / محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط. ت، تفريع أبواب الوتر، باب: في الاستعاذة (2/91) حديث رقم (1547)، وقال الألباني: «حديث حسن».
- 4- سورة: البقرة [185].
- 5- أخرجه أحمد في مسنده، المحقق / أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ، 1995م، (5/272) حديث رقم (5866) وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

به من جَهْدٍ وتعَبٍ فلما سأل عن ذلك قالوا إنه صائم فقال ﷺ: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ»<sup>(1)</sup>. أي في هذا النوع من السفر الذي يشق على صاحبه إلى هذا الحد، وقد ختم الله تعالى آية صوم رمضان بقوله ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾<sup>(2)</sup>.

ومن ذلك ما شرعه القرآن والسنة من أحكام الضرورات التي تُباح بها المحظورات فمن هذه الضرورات المحافظة على الجسم وسلامته، وبقاء الحياة واستدامتها حتى أُبيح للمسلم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله: قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ عَلَيْهِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>. وقد تكرر هذا المعنى في سور عدة كالمائدة والأنعام والنحل.

#### مدارة النفس<sup>(4)</sup>. والتلطف بها والترويح عنها بأنواع المباحات:

كما أن من رفق الإنسان بنفسه التلطف بها والترويح عنها بأنواع المباحات؛ ذلك أن مداراة النفس والتلطف معها، والرفق بها أمر لا بد منه، حتى لا يصيبها سوء أو ضرر، وكى تداوم على فعل الطاعات، وتستمر في القيام بالأعمال الصالحة دون أن يصيبها الفتور، أو يتسرب إليها الشعور بالسامة والملل، يقول ابن الجوزي في ضرورة الرفق بالنفس والتلطف بها ومداراتها: «مر بي حمّالان تحت جذع ثقيل، وهما يتجاوبان بإنشاء النغم، وكلمات الاستراحة، فأحدهما يصغي إلى ما يقوله الآخر، ثم يعيده، أو يجيبه بمثله، والآخر همته مثل ذلك، فرأيت أنهما لولم يفعلا هذا، زادت المشقة عليهما، وثقل الأمر وكلما فعلا هذا هان الأمر فتأملت السبب في ذلك، فإذا به تعليق فكر كل واحد منهما بما يقوله الآخر، وطربه به، وإجالة فكره في الجواب بمثل ذلك، فينقطع الطريق، وينسى ثقل المحمول. فأخذت من هذا إشارة عجيبة، ورأيت الإنسان قد حمل من التكليف أمورًا صعبة، ومن أثقل ما حمل مداراة نفسه، وتكليفها الصبر عما تحب، وعلى ما تكره، فرأيت الصواب قطع طريق الصبر بالتسليية والتلطف للنفس، كما قال الشاعر:

- 1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر ليس من البر الصوم في السفر (3/33) حديث رقم (1946).
- 2- سورة: البقرة [185].
- 3- سورة: البقرة [173].
- 4- مداراة النفس أي: «ملاطفتها وملابستها والرفق بها» أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م، (1/732).

فإن تشكت فعملها المجرة من ضوء الصباح وعدّها بالرواح ضحى ومن هذا ما يحكى عن بشر الحافي رحمة الله عليه: سار ومعه رجل في طريق، فعضش صاحبه، فقال له: أنشرب من هذا البئر؟ فقال بشر: اصبر إلى البئر الأخرى! فلما وصلا إليها، قال له: البئر الأخرى؛ فما زال يعلله، ثم التفت إليه، فقال له: هكذا تنقطع الدنيا، ومن فهم هذا الأصل، علل النفس، وتلطف بها، ووعدّها الجميل، لتصبر على ما قد حملت، كما كان بعض السلف يقول لنفسه: ”والله ما أريد بمنعك من هذا الذي تحبين إلا الإشفاق عليك“. وقال أبو يزيد رحمة الله عليه: ”ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك، واعلم أن مداراة النفس والتلطف بها لازم، وبذلك ينقطع الطريق..“<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: تفعيل مبدأ الرفق في علاقة الإنسان بأهله وأسرته

لا شك أن للأسرة أهمية كبيرة في بناء وتكوين أي مجتمع بشري، فهي التربة التي يُغرس فيها الطفل، وينشأ فيها وينمو، فإن كانت هذه التربة خصبةً وصالحةً..أنبتت شجرةً قويةً سويةً..تضرب في أعماق الأرض اتتماءً وولاءً لتلك التربة.. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها..ثمارةً يانعةً..أما إن كانت هذه التربة غير خصبة وغير صالحة..فإنها تنبت بطبيعة الحال شجرةً هزيلةً ضعيفةً..تجثت بسهولة من فوق الأرض، ما لها من قرار ولا استقرار..

فالأسرة تعد بلا ريب: مظلة إنسانية ضرورية لبناء النفس البشرية، وممارسة المعيشة الهائنة في الحياة، ورفد نظام المجتمع بعناصر البناء والتنمية والعمران، وإبقاء النوع الإنساني، واستدامة الحياة البشرية.

ولا شك أن مبدأ الرفق من المبادئ والقيم التربوية المهمة والأساسية في التعامل مع الأبناء والزوجات سواء في حال الرضا أو في حال الغضب، وقد نبهنا المصطفى ﷺ إلى أهمية الرفق ففي الصحيح من حديث عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ.»<sup>(2)</sup>. وعنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(3)</sup>.

- 1- جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، صيد الخاطر، اعتني به: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط1، 1425هـ، 2004م، (ص114).
- 2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الرفق (4/4) حديث رقم (2593).
- 3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الرفق (4/4) حديث رقم (2594).

وقوله: «يعطي على الرفق» أي: يتأتى به من الأغراض ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره..»<sup>(1)</sup>. وهذا مُشاهد ومُجرب، فاستخدام الرفق واللين لا سيما في حالة تربية الأبناء، أوفي معرض التّصح والإرشاد فيم بين الأزواج والزوجات أدعي لقبول النصيحة والانتفاع بها.

ولذا فإن العلاقة بين الوالدين والمربين وبين الأطفال ينبغي أن يكون أساسها الرفق واللين، ولا ينبغي أن تكون عقوبة الأهل لأبنائهم وأطفالهم شديدة وقاسية إلى درجة تدفعهم إلى ستر الأخطاء والوقوع في الكذب أو الهروب من المنزل فهذا قد يشكل بدايةً لانحرافٍ خطير، كما ينبغي أن يعرف الطفل أنه إذا صدق في حديثه مع أهله وروى لهم الأحداث كما وقعت فإن العقوبة ستكون أخف من العقوبة التي سينالها إذا كذب أو نام خارج المنزل أو قام بخداع أهله وإذا أعطى الأب وعدًا بعدم معاقبة الطفل إذا اعترف بخطئه فإن عليه الوفاء بهذا الوعد كاملاً ومن المؤسف أن بعض الآباء يتعامل مع أبنائه بطريقة معكوسة فهو يعاقبه إذا صدق ويكافئه إذا كذب لأنه لا يعرف كيف يكتشف كذب ابنه المراهق..»<sup>(2)</sup>.

ولقد جمع ابن خلدون هذه الآثار المدمرة التي تلحق الصغار عند غياب الرفق واللين والإفراط في استخدام القسوة والعنف، في التربية والتعليم، في مقالة حكيمة في فصل: أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم حيث يقول: «وذلك أنّ إرهاف الحدّ بالتّعليم مضرّ بالمتعلّم سيّما في أصاغر الولد لأنّه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن التّفنّس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التّظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسانيّة التي له من حيث الاجتماع والتّمرن، وهي الحميّة والمدافعة عن نفسه ومنزله. وصار عيالا على غيره في ذلك بل وكسلت التّفنّس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيّتها فارتكس وعاد في أسفل السّافلين..»<sup>(3)</sup>.

1- المصدر السابق، نفسه.

2- عبد الكريم محمد الحسن، تأسيس عقلية الطفل، دار وجوه، الرياض، ط 2 ن 2012م، (ص39).

3- عبد الرحمن بن بن خلدون، العَبْر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ، 1981م، (1/743).

ومن ناحية أخرى فإن الفهم المنقوص أو المشوّه للدين، وتجدّر بعض الأفكار والتقاليد الموروثة المكّسة للنظرة الدونية للمرأة، والرؤية الجاهلية لطبيعة العلاقة بين الذكر والأنثى، تلك التي تحكمها ثنائية التملك والاستعباد، وتداول فيها بفهمٍ مُشوّه بعض الأحاديث النبوية مثل حديث: «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»<sup>(1)</sup>. وحديث: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ..»<sup>(2)</sup>. وحديث: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكِنَّ»<sup>(3)</sup>. وحديث: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»<sup>(4)</sup>. فرأى بعض ضعاف الفهم أن مثل هذه الأحاديث أعطت الحق للرجال في الهيمنة والتسلط وممارسة العنف ضد الإناث، سواء كانت زوجة، أم بنتًا أم أختًا.

فعلى مستوى الحياة الزوجية أسقطت هذه الثقافة من منظومة المعاشرة الزوجية بند الحقوق، ولم تستبق غير بنود الواجبات التي تضخمت واتسعت حتى شملت الأمزجة الشخصية والموروثات الثقافية، وغابت أو غيّبت أحاديث كثيرة تضع الأحاديث الأولى في نسقها الصحيح، تلك الأحاديث التي تدعو إلى احترام الزوجة، والإحسان إليها وتجنب ضربها، والرفق بها، واللطف واللين في معاملتها، ومعاشرتها بالمعروف كقوله: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»<sup>(5)</sup>. وقوله: «لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ أَمْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ»<sup>(6)</sup>. وقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس، (رضي الله عنها) عندما استشارته في معاوية بن أبي سفيان وأبي جهم عندما تقدا لخاطبتها: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ صَرَابٌ لِلنِّسَاءِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُغْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، أَنْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَنْكِحِي أُسَامَةَ، فَتَكَحَّتْهُ فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا وَاعْتَبَّتْ بِهِ»<sup>(7)</sup>.

- 1- أخرجه الترمذي في سننه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009 م، أبواب الرضاع، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة (3/457) حديث رقم (1159) وقال الترمذي: «حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه».
- 2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة (4/133) حديث رقم (3331).
- 3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب (2/120) حديث رقم (1462).
- 4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة (7/8) حديث رقم (5096).
- 5- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب: في فضل أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) (5/709) حديث رقم (3895) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
- 6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: ما يكره من ضرب النساء (7/32) حديث رقم (5204).
- 7- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: المطلقة ثلاثا لا نفقة لها (2/119) حديث رقم (1480).

ولا شك أن (العنف الأسري) والاستخدام غير الشرعي للقوة أو التهديد باستخدامها بهدف إخضاع فرد من أفراد الأسرة لإرادة الطرف الذي يريد فرض سلطته بالعنف سواء كان هذا العنف جسديًا، أو لفظيًا، أو نفسيًا قد يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية، تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على عمليات التنمية في محيط الأسرة، بما ينعكس بطبيعة الحال على التنمية في المجتمع بأكمله.

ولعل نظرة في الأرقام والإحصاءات الرسمية لغياب الرفق واللين وانتشار العنف والخشونة في محيط الأسرة تبين بوضوح كيف يمكن للعنف والخشونة أن تؤثر سلبيًا على تحقيق التنمية المستدامة؛ ذلك أن المسح العالمي لظاهرة العنف يبين تفشيها وتصادم وتيرتها في ذات الوقت، فقد أحصت التقديرات العالمية في سنة 2001م أن امرأة من كل ثلاث نساء تعرضت في حياتها إلى اعتداء جنسي أو جسدي أو نفسي.

وقد أعلنت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (UNICEF) سنة 2000م أن نسبة النساء والبنات اللاتي تعرضن للعنف الأسري تتراوح بين 20 إلى 50% وأنه في سنة 2000م غاب من تعداد سكان العالم حوالي ستين مليون امرأة ذهبت ضحية العنف الأسري، وأن البلدان التي اتخذت تدابير مواجهة ظاهرة العنف على النساء والبنات لا تتجاوز 44 دولة، كما أعلن مجلس الشيوخ الأمريكي أن العنف الجسدي والاعتداء الجنسي يكلف الخزينة الأمريكية أكثر من 5.8 مليار دولار سنويًا.

أما مسح ظاهرة العنف في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فإنه يكشف انتشار هذه الظاهرة وتصادم وتيرتها، فقد أصبح العنف متبادلًا بشكل واسع بين الأزواج..<sup>(1)</sup>

### المطلب الثالث: تفعيل مبدأ الرفق في علاقة الإنسان بغيره من أفراد المجتمع

لا شك أن المداراة والرفق واللين والسماحة من أخلاق المؤمنين فيما بينهم والرفق هو: خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة وسَلِّ السَّخِيمَةَ<sup>(2)</sup>.

1- مجموعة من الباحثين، ظاهرة التطرف والعنف من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب، كتاب منشور ضمن سلسلة كتاب (الأمة) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد 167، جمادى الأولى 1436هـ، (ص136).

2- ابن بطال، شرح صحيح البخاري (9/305).

ولذا وجب على المسلم أن يعي ويفهم أنه إن كانت طبيعته الفظاظة وغلظة القلب نفر منه الناس، وهذا أمر لم يكن ليسلم منه رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (1). لولا أن عصمه الله منهما، ورزقه الرفق واللين، وجعلهما من خصاله وأخلاقه، وجعله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (2).

فنفرة الناس من الإنسان المسلم ستكون من باب أولى إذا كان موصوفاً بالفظاظة والغلظة، ولن يشفع له إذا اتصف بهاتين الخصلتين أنه يدعو الناس إلى الإسلام، فإن الناس لن يتحملوا فظاظته وغلظته معهم وحتى وإن كان يعمل لمصلحتهم ويدعوهم إلى الحق والخير فالناس لا يأخذون بهذا المنطق، فما يدعو إليه الإنسان المسلم، أهله وأقاربه والناس من حوله، لا يدخل إلى قلوبهم إلا إذا مالت إليه قلوبهم، ولا تميل إليه قلوبهم إلا إذا كان هذا الداعي رحيماً بالناس متواضعاً معهم رفيقاً بهم يخصصهم بوجوه البر والشفقة والمعونة دون كبرٍ أو استعلاء أو سوء خلق، فالناس في حاجة إلى كنفٍ رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشةٍ سمحة، وإلى ودٍ يعمهم، وحلمٍ لا يضيق بجهلهم، وضعفهم ونقصهم، إنهم في حاجةٍ إلى قلب كبيرٍ واسعٍ رقيقٍ يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، يحمل همومهم ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والرفق واللين.

وإذا استطاع الإنسان أن يكون مع إخوانه، وفقه هذا الأنموذج الرباني، استقامت علاقاته بإخوانه، ودامت المودة والألفة بينه وبينهم.

ولعل من الصور النبوية المشرقة التي تجسد رفق المصطفى ﷺ، بإخوانه وأصحابه، ولينه وسهولته في معالجة أخطائهم وإرشادهم إلى الصواب، ما روي عن أبي هريرة ؓ قال: قام أعرابيٌّ فبال في المسجد، فتناولهُ النَّاسُ، فقال لهم النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِّقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ دَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مَعْسِرِينَ...» (3).

ومن الصور المهمة للرفق والتي يمكن أن تُسهم في تحقيق التنمية المستدامة، ودفع عجلتها، وتقديم مسيرتها، الرفق بالعمال، وحسن رعايتهم، فاحترام إنسانية العامل، وحسن معاملته، والرفق به والإحسان إليه، من المبادئ النبوية السامية، فالعامل في السنة

1- سورة: آل عمران، آية [159].

2- سورة: التوبة، آية [128].

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد (1/54) حديث رقم (220).

النبوية له كرامته وحرمته، دون النظر إلى لونه أو عرقه أو طبيعة عمله، وتتجلى في السيرة النبوية العطرة مظاهر الرفق بالخدم والعمال، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه خادم النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أْف، وَلَا لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلَا أَلَّا صَنَعْتَ»<sup>(1)</sup>.

بل إن رفقه ورحمته وشفقته صلى الله عليه وسلم بالخدم والعمال تخطت نطاق الإسلام إلى خدمه من الديانات الأخرى، كما فعل صلى الله عليه وسلم مع الغلام اليهودي الذي كان يخدمه، وقد مرض هذا الغلام مرضًا شديدًا، فظل صلى الله عليه وسلم يزوره ويتعهده، حتى إذا شارف الموت، عاده ففَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِم»، فَتَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ رضي الله عنه، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(2)</sup>.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تكليف العمال فوق طاقتهم، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ»<sup>(3)</sup>.

بل إن رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم رفع العمال والخدم إلى درجة الإخوة، وهذا ما لم يسبق إليه في أي حضارة إنسانية ففي الصحيح من حديث المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألناه عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلا، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ» ثم قال: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ حَوْلَكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلَفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعَيْنُوهُمْ»<sup>(4)</sup>.

ولا شك أن معاملة العمال والأجراء والموظفين بالرفق واللين، وعدم تكليفهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به، مع إعطائهم حقوقهم المادية والمعنوية، وشعورهم بالأخوة والرحمة والمودة بينهم وبين أرباب الأعمال، يترتب عليه أن يكون عملهم نابع عن حب ومودة، مما يزيد في ولائهم، وانتمائهم للمؤسسات التي يعملون فيها، حتى أنهم يشعرون أنها ملك

- 1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق (8/17) حديث رقم (6038).
- 2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (2/118) حديث رقم (1356).
- 3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه (3/284) حديث رقم (1662).
- 4- من حقوق العمال في الإسلام، د. حسن عبد الحمن سليم، مقال منشور بمجلة الأزهر، عدد ربيع أول 1445هـ، نوفمبر 2023م، (ص599)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية (1/14) حديث رقم (30).

لهم، وأنهم جزء منها؛ ومن ثم يزيد حرصهم عليها، وصيانتهم لها، ورغبتهم في الحفاظ عليها، والإبقاء على مقدراتها، وشيئاً فشيئاً يزيد إخلاصهم لها وتفانيهم في إنجاز وإتقان أعمالهم فيها؛ فتنمو وتتوسع، ويزيد نموها وتتضاعف أرباحها، وتحقق التنمية المستدامة.

#### المطلب الرابع: تفعيل مبدأ الرفق على مستوى علاقة الإنسان بالبيئة والكون من حوله

لا شك أن الكون هو مسرح خلافة الإنسان؛ تلك الخلافة التي هي مهمة وجوده؛ ولذا فإن التصرف فيه تصرّف الرفق به يكون من باب: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وذلك لأن الرفق بالكون يعني: التعامل معه تعاملًا يقوم على الحفاظ على مقدراته، ونظمه، وموجوداته، والعمل على استدامتها واستمرارها، والحيلولة دون كل ما عسى أن يكون فيه إتلاف لها أو تحريف لها عن غاياتها في استتباب الحياة وتحقيق نفع الإنسان، وإذا ما تعطل هذا التعامل وآل الأمر إلى العبث في الكون بالفساد فإن ذلك يكون حائلًا دون القيام بمهمة الخلافة سواء في جانبها التعميري في الأرض أو في جانب الترقّي الإنساني ذاتيًا واجتماعيًا، فكلاهما لا يتم إلا في بيئة كونية سالمة من الفساد وبذلك يلحق الرفق بالبيئة والكون بمهمة الخلافة في الأرض في حكم الوجوب المفروض على الإنسان»<sup>(1)</sup>.

وبهذا المعنى يمكن أن يعتبر الرفق بالكون مؤصلًا في التحضر الإسلامي على أصل عقدي إذ هو كما بيناه شرط لتحقيق الخلافة في الأرض وهي أساس في العقيدة الإسلامية، ويقوم عليها التصور العقدي للإنسان، وإذا كانت مهمة الخلافة لا تتحقق إلا في نطاق الرفق بالكون فإن الحكم الاعتقادي الذي يتوجه إلى الخلافة يتوجه أيضا إلى الرفق بالكون، وهوما يفهم من جعل الإفساد في الأرض الذي هو نقيض الرفق بها صفة نفاق في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٤﴾ والفساد في هذه الآية كما يقول الطاهر بن عاشور هو: «تعطيل لما خلق الله تعالى في العالم لحكمة صلاح الناس»<sup>(2)</sup>. واعتبر ذلك من نواقض الاعتقاد الصحيح؛ إذ هو من مظاهر النفاق، فيكون بالضرورة الرفق بالكون، والحفاظ على مقدرات البيئة من مظاهر العقيدة الصحيحة وذلك تأصيل عقدي لهذا الفقه.

1- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1427هـ، 2006م، (1/157).  
2- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، 1984هـ، (2/270) والآيتان من سورة: البقرة [204، 205].

ومع هذا التأصيل العقدي للعلاقة بين الإنسان والكون والتي ينبغي أن تنطلق من مبدأ الرفق بهذا الكون، يمكن تأصيل العلاقة بينهما بتأصيل من نوع آخر ألا وهو التأصيل الأخلاقي، والذي يتمثل في التقرير القرآني والنبوي في العديد من المواضع لأواصر القربي بين الإنسان ومكونات البيئة الكونية، ولعل من أبرز تلك الأواصر: إثبات وحدة العلاقة بين الإنسان والكون حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ﴾<sup>(1)</sup>. تلك الوحدة التي نشأت منها علاقة ودية بين الإنسان وبين موجودات الكون عبّر عنها النبي ﷺ في قوله: «أَحَدٌ جَبَلٌ يُجِبُّنَا وَنَجِبُهُ»<sup>(2)</sup>.

وبطبيعة الحال فإن إدراك الإنسان لهذه العلاقة الودية بينه وبين مكونات البيئة الكونية سيؤدي إلى أن تكون سلوكياته وتصرفاته نحو تلك البيئة يغلب عليها الود والإكرام لها، والرفق بها، والإحسان إليها، ولعل هذا ما يفسر لنا حرصه ﷺ وكما درج عليه في أسلوبه التربوي على تحبيب عناصر ومكونات تلك الطبيعة إلى أصحابه، بتمثيل عناصرها تمثيلاً يُزينها في النفوس، ففي الصحيح من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال «إِنَّ مِّنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»<sup>(3)</sup>.

وبناء على هذين الأصلين العقدي والأخلاقي ينبغي أن يكون أساس العلاقة ومنهجية التعامل بين الإنسان والبيئة الكونية من حوله. علاقةً تسودها المودة والرفق، وتعاملٌ يغلب عليه الاحترام والإكرام والإحسان، وذلك بالحفاظ عليها في تراكيبها ومكوناتها ونُظُمها التي أحكمت لنفع الإنسان، وصيانتها من أن تتعرض للتحريف أو التخريب أو الإفساد أو الإتلاف أو التحطيم، وكذلك بالاستهلاك منها في سبيل تحقيق البناء الحضاري استهلاكاً رشيداً مصوناً عن الإسراف المخل بخيراتها ومقدراتها مما قد يكون له أثر سلبي على نظامها في الانتفاع به عبر الأجيال والآماد، بما يضمن بقاءها واستمرارها واستدامة عطاءها.

ومن ثم يمكن القول: إن الرفق بالبيئة الكونية باعتباره مظهرًا من مظاهر الرقي والتحضر الإسلامي، ووسيلة من وسائل تحقيق التنمية المستدامة يمكن تفعيله من خلال

1- سورة: الحج، الآية [5].

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: باب أحد يحبنا ونحبه (5/103) حديث رقم (4083).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: قَوْلِ الْمُحَدِّثِ حَدِّثْنَا، وَأَخْبَرْنَا، وَأَتْبَانًا (1/22) حديث رقم (61).

محورين أساسيين وهما:

## المحور الأول: الرفق الصياني:

فمن المعلوم أن البيئة الكونية قُدِّرت في عناصرها وفي تركيبها ونظامها بحيث تستجيب لنفع الإنسان إذ هي خُلقت أساسًا من أجله وذلك مصداقًا لقوله تعالى ﴿الْمَرْوَةَ أَنْ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ (1). وقال سبحانه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (2).

فالبينة الكونية مرتبة كلها لتحقيق مصلحة الإنسان في مقاديرها الكمية كما في الآية الأولى، وفي مقاديرها الكيفية كما في الآية الثانية، وتبعًا لهذا المعنى فإن على الإنسان في مباشرته وحركة حياته اليومية في الكون أن يعمل على صيانة مقدراته الكمية والكيفية التي عليها خُلِقَ وأن يحافظ عليه في نظامه الذي رُكِبَ عليه، وأن ينتفع به في حدود ذلك النظام المقدر لمصلحته؛ فإنه الوضع الأفضل مطلقًا لتحقيق تلك المصلحة؛ ذلك أن الله تعالى لم يخلق عنصرًا من عناصر الكون ولا رتب كيفية من كفياته إلا وفق حكمة أرادها، ويجتمع من مفردات تلك الحكمة الصلاح الكوني الأشمل، وذلك مصداق قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (3).

والرفق الصياني بالبيئة الكونية كما ورد في السنة النبوية وفي التصور الإسلامي يمكن أن يكون على ضربين على النحو الآتي:

### أولاً: الرفق بالصيانة من التلف:

ذلك أن لكل عنصر من عناصر الكون دورًا محددًا خاصًا به في تهيئة البيئة الكونية لتحقيق نفع الإنسان وهو ما يسمى اليوم بالتوازن البيئي، ولعل ذلك أحد معاني قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (4). فالوزن في الآية الكريمة معناه تقدير كل عنصر من عناصر الكون بحيث يُفضي بالبيئة الكونية إلى هيئة تحقق للإنسان النفع والصلاح، فقد وردت الآية في مقام المن عليهم بالنعم، فذلك الوزن المحقق للتوازن البيئي هو إحدى تلك النعم، والتصرف بالإتلاف لعناصر الكون الموزونة

1- سورة: لقمان، الآية [20].

2- سورة: إبراهيم، الآية [33].

3- سورة: الفرقان، الآية [2].

4- سورة: الحجر، الآية [19].

هو تصرف يفضي بالضرورة إلى الإخلال بما يؤدي إليه وزنها من التوازن، ويفضي بالتالي إلى الإخلال بالنفع الذي يحققه ذلك التوازن للإنسان ولذلك جاءت السنة النبوية بالمنع القاطع لهذا التصرف الإتلافي في التعامل مع البيئة الكونية بأي طريقة من طرائق الإتلاف الذي تكون غايته الإهلاك العبثي الذي لا يُنبى على أي تقديرٍ لوجه من وجوه النفع»<sup>(1)</sup>.

ولعل من أدلة المنع للإتلاف البيئي أنه ﷺ قال: «عُدَّتْ أَمْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جَوْعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ» قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ أَعْلَمُ: «لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِهَا، وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ حَشَائِشِ الْأَرْضِ»<sup>(2)</sup>. وقوله أيضًا في مقابل ذلك ما روي عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «غَفِرَ لِأَمْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكَبٍ يَلْهُثُ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَزَعَتْ حَقْفَهَا، فَأَوْتَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ»<sup>(3)</sup>. فمآل الأولى إنما كان بسبب إتلافها لمخلوق من عناصر البيئة عبثًا ومآل الثانية إنما كان بسبب حفاظها على مخلوقٍ من تلك العناصر أن يهلك من غير نفع.

إن هذه المبادئ النبوية في الرفق بعناصر البيئة وصيانتها والحفاظ عليها من التلف هو الذي وضعه أبو بكر ؓ موضع التقنين حينما حدد لجيشه سبل التعامل مع البيئة التي يطؤها في الغزو فقد روى الإمام مالك في الموطأ: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ بَعَثَ جُبُوشًا إِلَى الشَّامِ. فَخَرَجَ يَمْشِي مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ أَمِيرَ رُبْعٍ مِنْ تِلْكَ الْأَرْبَاعِ. . إِيَّيْ مُوصِيكَ بِعَسْرٍ: لَا تُقْتَلَنَّ أَمْرَأَةٌ، وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تُقَطِّعَنَّ شَجَرًا مُؤَمِّرًا، وَلَا تُحَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تُعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا لِمَا كَلَّتْ. وَلَا تُحْرِقَنَّ نَحْلًا، وَلَا تُعْرِقَنَّه، وَلَا تُغْلَلْ وَلَا تُجَبَّنْ»<sup>(4)</sup>.

إنها وصية تُقنُّ للحفاظ على البيئة الكونية والرفق بها وصيانتها من أن تهلك عناصرها من الحيوان والنبات وكل ما هو عامر منها بقصد الإهلاك والتدمير.

### ثانيًا الرفق بالصيانة من التلوث:

ذلك أن الفساد في الأرض لا يكون بإهلاك عناصر البيئة إهلاكًا مباشرًا فحسب، ولكن

- 1- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، (1/161).
- 2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حدثنا أبو اليمان (4/176) حديث رقم (177).
- 3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حدثنا أبو اليمان (4/176) حديث رقم (177).
- 4- أخرجه مالك في الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1985م، كتاب: الجهاد، باب: النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو (2/447) حديث رقم (10).

يكون أيضا بتلويث البيئة تلويثًا تقذف فيه عناصر مسمومة تُستحضر استحضارًا، أو تنجم بالإهمال والتراكم؛ فإذا بها تُفضي إلى تعطيل العناصر الكونية الطبيعية في ذواتها أو كيميائياتها وروابطها عن أن تؤدي دورها النفعي، بل قد تحولها إلى عناصر وكيميائيات مسمومة هي بذاتها فإذا إدائها للنفع يتحول إلى إضرار بحياة الإنسان، أو إعاقة له عن القيام بوظيفته في الاستخلاف، والقيام بعمليات التنمية والبناء والتعمير..<sup>(1)</sup>

ولعل من أبرز النصوص النبوية ذات الدلالة الواضحة على ضرورة الرفق الصياني للبيئة الكونية والحفاظ عليها من التلوث، ما ورد من آداب في تصريف الفضلات الإنسانية، والتي تعتبر في البيئة البدائية البسيطة من أهم عناصر التلوث، ومن ذلك ما روي عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظَّلَّ»<sup>(2)</sup>.

ففي هذه المواقع مجاري الماء، ووسط الطريق، وأماكن الظل يكون البراز أكثر تلويثًا للبيئة، إذ هي مواقع نشاط وحركة للناس، ومن شأنها أن تزيده انتشارًا وتمددًا وانتقالًا، ولذلك ورد النهي عنها مقاومة لتلويث البيئة، وصيانة لها، وحفاظًا عليها، وفي هذا السياق أيضًا يندرج أنه ﷺ «نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّكِيْدِ»<sup>(3)</sup>. لما يفضي إليه من العفونه والتسميم.

### المحور الثاني: الرفق الاستهلاكي:

فالإنسان كما هو معلوم يسعى في حركة حياته اليومية إلى استثمار مرافق الكون ومقدراته في سبيل تحقيق التنمية، وبناء الحضارة والعمران، وهذه المرافق والمقدرات التي هي نعم الله المقدرة في الكون، والمعدة لإقامة الخلافة في الأرض ليست بفانية في مجملها ما دام الإنسان مُكَلَّفًا بمهمة الخلافة، فإن هذه النعم في مفرداتها خلقت محدودةً لحكمة إلهية؛ قد يكون منها تحفيز الإنسان للترقى طورًا بعد طور بالانتقال من استثمار مرفق إلى آخر أرق منه وأكفأ في تلبية مقتضيات الترقى في التعمير على نحو ما يبدو في الانتقال من طاقة الفحم إلى طاقة البترول إلى الذرة إلى الطاقة الشمسية»<sup>(4)</sup>.

1- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي (1/163).

2- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الطهارة، باب: باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها (1/7) حديث رقم (26) وقال الألباني: «حديث حسن».

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن البول في الماء الراكد (1/235) حديث رقم (281).

4- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي (1/165).

ولا شك أن مرافق الكون ومقدراته مبنية في وجودها على توازن بينها يُفضي إلى التوازن البيئي الشامل، كما أنها مبنية على حكمة إلهية في تناسبها مع التصور الإنساني كمياً وكيفاً عبر التاريخ بحيث تستجيب لهذا التطور وتدفع إليه وتُنمِّيه تحقيقاً للترقي الخلافي مادياً ومعنوياً.

وبناء على هذا المعنى فإن الإنسان إذا كانت مرافق الكون قد خُلقت من أجله فإنه من المطلوب منه أن ينتفع بها في حدود ما يُلبي حاجاته الحقيقية في الانتفاع دون أن يتصرّف إزائها تصرفاً استهلاكياً يزيد عن حاجته فإذا هو مسرّف في الاستهلاك منها بما يفضي إلى إرهاقها في غير طائل، ويعجل بإنضابها وزوالها؛ مما يكون له الأثر السيء على التوازن البيئي من جهة وعلى التناسب بين المرافق وبين الأجيال البشرية المتعاقبة من جهة أخرى.

ولعل من النصوص الشرعية ذات الدلالة الواضحة على هذا المعنى قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(1)</sup>. وقوله سبحانه تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ حريصاً على هذا الحكم في عمله تعليماً للناس ففي الصحيح من حديث أبو رِيحَانَةَ عَنْ سَفِينَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُغَسِّلُهُ الصَّاعُ، مِنْ الْمَاءِ، مِنْ الْجَنَابَةِ. وَيُوَضُّوهُ الْمُدُّ»<sup>(3)</sup>.

إن هذا النهي الرباني عن الإسراف، والتطبيق العملي من المصطفى ﷺ، يُشير بشكل واضح إلى ملامح منهج كامل متكامل في التعامل مع مرافق البيئة الكونية بالرفق في الاستهلاك، بما يضمن استدامتها وبقائها، واستمرار نموها وعطائها، ودوام انتفاع الإنسان بها، حتى تُسهم بشكل عملي وفاعل في تحقيق التنمية المستدامة، على المستوى الفردي والجماعي.

1- سورة: الأنعام، الآية [141].

2- سورة: الأعراف، الآية [31].

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحيض، باب: باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر (1/258) حديث رقم (326).

## الخاتمة

### أولاً: النتائج:

- إن الإنسان هو أساس التنمية المستدامة، وهو غايتها ومقصدتها، وهو محورها الأول، والقائم بها، والمنوط به تحقيقها؛ ولذا فقد أعلت السنة النبوية من قيمة الإنسان، واهتمت بالنفس البشرية وأكدت على ضرورة الرفق بها، وصيانتها والحفاظ عليها؛ وعدم إرهاقها وتكليفها فوق طاقتها حتى وإن كان ذلك في مجال العبادة التي هي الغاية الأولى والمقصد الأسمى من وجود الإنسان في هذا الكون.
- للرفق أهمية كبيرة في حياة الإنسان فهو من أخلاق وصفات المؤمنين، ومن أهم أسباب الرزق والخير، وبه تحصل محبة الله للعبد، وفيه طاعةٌ لله تعالى ولرسوله ﷺ، كما أنه سبب في استدامة الطاعات، ويُسهّم في تقديم الإسلام للناس في صورته الصحيحة، ويحببهم فيه، ويعينهم على قبول تكاليفه، وفي الرفق سبيل لتوطيد العلاقات والروابط الإنسانية واستدامتها.
- إن معاملة العمال والأجراء والموظفين بالرفق واللين، وعدم تكليفهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به، مع إعطائهم حقوقهم المادية والمعنوية، وشعورهم بالأخوة والرحمة والمودة بينهم وبين أرباب الأعمال، يدفعهم إلى القيام بأعمالهم بمودة وطيب خاطر، مما يزيد في ولائهم، وانتمائهم للمؤسسات التي يعملون فيها، ومن ثم يزيد حرصهم عليها، وصيانتهم لها، ورغبتهم في الحفاظ عليها، وعلى مقدراتها، وشيئاً فشيئاً يزيد إخلاصهم لها وتفانيهم في إنجاز وإتقان أعمالهم فيها؛ فتنمو وتتوسع، ويزيد نموها وتتضاعف أرباحها، وتحقق التنمية المستدامة.
- إن الرفق بالكون، والحفاظ على البيئة الكونية، من الأمور المؤصلة في التحضر الإسلامي على أصل عقدي إذ هو شرط لتحقيق الخلافة في الأرض وهي أساس في العقيدة الإسلامية.
- لما كان الإنسان هو أهم عناصر الكون، بل إن هذا الكون قد خُلق لأجله، وكل ما فيه مُسخر لخدمته، وهو خليفةُ الله في أرضه؛ لذا فإن تحقيق التنمية المستدامة يتطلب من الإنسان أن يتعامل مع البيئة الكونية برفق وإحسان، ويحرص على صيانتها من التلف والتلوث، والانتفاع منها برفق دون إسراف فيأخذ منها ويعطيها، ويرعى لها حقها، لتؤتي له حقه.

## ثانيًا: التوصيات:

- ضرورة حشد كافة الجهود وتفعيل دور جميع مؤسسات المجتمع بدايةً من الأسرة والمسجد، مرورًا بالمدارس والجامعات، وصولًا إلى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في السعي نحو نشر ثقافة الرفق في التعامل بين الناس لا سيما في الوقت الراهن، ذلك الوقت الذي غلب على كثير من المسلمين فيه سرعة الغضب والانفعال، حتى صاروا يعرفون بالغلظة والفظاظة، وأهملوا الرفق واللين في حياتهم إما تهاونًا أو جهلاً.
- ضرورة عقد المؤتمرات والندوات العلمية التي تبرز دور القيم والأخلاق النبوية، وتبين دورها في رقي المجتمع، وتحقيق التنمية المستدامة، وبناء الحضارة وتشبيد العمران.

## قائمة المراجع

- البيئة والتنمية المستدامة، سعاد عبد الله العوضي، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت.
- تأسيس عقلية الطفل، عبد الكريم محمد الحسن، دار وجوه، الرياض، ط2، 2012م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ) الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- تقرير اللجنة التي أنشأتها الأمم المتحدة في أواسط الثمانينات من القرن العشرين، والذي عرف بتقرير (برونتلاند) ينظر: التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، عبد الله جمعان الغامدي، مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، مجلد (32) عدد (1) (1430هـ، 2009م).
- التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، عبد الله جمعان الغامدي، مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، مجلد (32) عدد (1) (1430هـ - 2009م).
- الرفق في السنة النبوية، د. حسن محمد عبه جي، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية، <https://ketabonline.com/ar/books>
- ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، د. محمد عبد القادر الفقي، بحث منشور بكتاب الندوة الدولية الثالثة للحديث الشريف، حول (القيم الحضارية في السنة النبوية) والتي عُقدت في رحاب جامعة الوصل، دبي، في الفترة (22-25/4/2007م).
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (ت275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. بدون.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279هـ) المحقق / شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م.

- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال (ت449هـ) المحقق / أبوتميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1423هـ، 2003م.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق / د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط5، 1414هـ، 1993م.
- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ) المحقق / محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ، 1955م.
- صيد الخاطر، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ) اعنتي به / حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط1، 1425هـ، 2004م.
- ظاهرة التطرف والعنف من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب، إعداد: مجموعة من الباحثين، كتاب منشور ضمن سلسلة كتاب (الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (167) (جمادى الأولى 1436هـ).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن بن خلدون (ت808هـ) اعنتي به / خليل شحادة، مراجعة / د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ، 1981م.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت1329هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.
- فتح الباري بشرح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ) اعنتي به / محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1380 - 1390 هـ.
- الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة، أحمد صالح على بافضل، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط1، 2014م.
- فقه التحضر الإسلامي، د. عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1427هـ، 2006م.

- الكليات، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء (ت1094هـ) المحقق / عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط. د. ت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت241هـ)، المحقق / أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ، 1995م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424 هـ) وآخرون، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ) المحقق / محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- من حقوق العمال في الإسلام، د. حسن عبد الحمن سليم، مقال منشور بمجلة الأزهر، عدد ربيع أول 1445هـ، نوفمبر 2023م.
- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1985م.
- الموقع الرسمي للمركز الاتحادي للتنافسية والإحصاء التابع لوزارة شؤون مجلس الوزراء، بدولة الإمارات العربية المتحدة، <https://fcsc.gov.ae/>
- الوثيقة متاحة بموقع الخط الأخضر <http://www.greenline.com>